

طقس الأفخارستيا (العشاء الرباني المسيحي) وتأثره
بالوثنية

المدرس الدكتورة
أمل عجيل إبراهيم
جامعة الكوفة - كلية الآثار

طقس الأفخارستيا (العشاء الرباني المسيحي) وتأثره بالوثنية

المدرس الدكتورة
أمل عجيل إبراهيم
جامعة الكوفة - كلية الآثار

ملخص البحث

يعد طقس الأفخارستيا (العشاء الرباني المسيحي) من أعقد الطقوس المسيحية وهو من أهم أسرار الكنيسة بل هو سر الكنيسة الأول. وقد ناقش البحث معناه وخصائصه ومراحل تطوره في الحقب التاريخية المتلاحقة وتحوله من لقاء يجمع المسيحيين تذكارا لعشاء السيد المسيح الأخير مع تلاميذه ووصيته لهم بأن يفعلوا ذلك لذكره، إلى طقس سري وغامض يزعمون فيه أن الخبز والخمر الذي يتناوله المجتمعون يتحول إلى جسد ودم المسيح الحقيقي وأنهم بذلك يدخلون في شراكة وامتزاج معه فيحصلون على جزء من صفاته المميزة، وذلك يماثل تماما طقساً معروفاً كان يمارسه الوثنيون الذين دخلوا إلى المسيحية فيما بعد حاملين معهم عقائدهم الوثنية نفسها لاسيما وأن بعض آباء الكنيسة الأوائل قد شجعوا على ذلك جذبا لهؤلاء للدخول في المسيحية التي أصبحت بمرور الوقت وبموجب قرارات المجامع الكنسية تمثل العقائد الوثنية أكثر مما تجسد دعوة السيد المسيح الحقيقية.

المقدمة

تتميز الديانة المسيحية بوجود عدة طقوس تنظم العبادات فيها، ويمثل الطقس ذروة كل عمل تعبدي، وأطلقت عليها الكنيسة اسم أسرار لأنه ليس بمستطاع الأشخاص الوصول إلى فهم مغزاها الحقيقي فهي مخفية ومكتومة لأنها تفوق قدرة الإنسان العقلية ولهذا اختص الله تعالى بها الأنبياء والقديسين فقط، ويعدّ طقس الأفخارستيا من أهم تلك الأسرار الكنسية بل هو سر الكنيسة الأول والأهم.

وناقش البحث مفهوم الطقس وخصائصه الليتورجية والخطوات التي تتبعها الكنيسة في تطبيقه ثم يبين تطوره التاريخي منذ بداية تأسيسه حين كان لا يعدو أن يكون مجرد اجتماع يتم بين المسيحيين تذكارا لعشاء المسيح الأخير مع تلاميذه ووصيته لهم بأن يفعلوا ذلك لذكره ثم تحوله بعد انتشار الديانة المسيحية في البيئات الوثنية إلى طقس خاص متأثر بالأفكار المتواجدة في تلك الوثنيات السائدة ضمن الامبراطورية الرومانية التي احتضنت المسيحية وجعلتها ديناً رسمياً لها. فظهرت بدعة تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الحقيقي الذي يكسب من يتناوله القوة والصفات الخاصة التي امتلكها السيد المسيح نفسه.

وقد حفل البحث بمصطلحات تخص المسيحية قد لا يفهم معناها الدقيق إلا المختص وهي قد نوقشت في المؤلفات والبحوث العديدة وقدمنا التعاريف الموجزة لها والاحالات إلى المؤلفات التي ناقشتها للاستزادة في المعرفة عنها لمن يرغب مما لا يتسع أن نناقشها في البحث لئلا يفقد تركيزه الموضوعي كما أن لغة البحث

لا سيما في المبحثين الأول والثاني هي لغة الايمان المسيحي لأننا بصدد تبيان طقس يخص الديانة المسيحية نفسها وهي مأخوذة غالبا من المؤلفات اللاهوتية التي تناولت الطقوس الكنسية. واعتمد البحث على عدد من أمهات المصادر المسيحية وتفسير الكتاب المقدس المعتمدة والرصينة وعلى مجموعة مهمة من الكتب التاريخية التي تتعلق بالفترة الزمنية موضوع البحث ومن الله التوفيق من قبل ومن بعد.

المبحث الأول : معنى طقس الأفخارستيا

تعني كلمة طقس, ترتيب أو تنظيم وهي مجموعة القوانين الليتورجية (الطقسية) التي تنظم العبادة الكنسية وتقدم الخطوط العريضة لها, وقد عُرِّت عن اليونانية (طاكسيس), ويمثل الطقس الكنسي (The Ritual) أو الليتورجيا ركناً رئيساً في حياة الكنيسة وعباداتها لأنه يرسم النظم المحددة والترتيبات اللائقة لتحقيق الأبعاد الروحية والتقوية في العبادة^(١).

وكلمة (ليتورجية) يونانية الأصل, وتعني خدمة عامة تؤدي لأجل الجماعة وهي مشتقة من كلمتين (ليو) وتعني الجماعة و(أرجيا) وتعني عملاً واستخدمت الكنيسة هذه الكلمة منذ عصر مبكر للتعبير عن العبادة التي اعترفت بها الكنيسة قانونياً والتي يقدمها جميع أعضائها أو تقدم باسمهم جميعاً, وبمرور الزمن صارت كلمة (ليتورجية) تطلق على طقس الافخارستيا وحده^(٢).

ويعد طقس الأفخارستيا من أهم الطقوس المسيحية وأصل الكلمة ومعانيها في اليونانية تُترجم الى كلمة (شكر) وهي مزيج من شكر الله وتمجيده, وتقابل في التوراة كلمة البركة (بركوت) بالعبرية التي تشير أيضاً الى الشكر والتسبيح والتمجيد لله تعالى^(٣).

وأطلق على الطقس عدة أسماء مرادفة لاسم (أفخارستيا) منها: العشاء الرباني (Lord's supper) والقُدَّاس (Mass) والشراكة المقدسة (Holy communion) والأنافورا (Anaphora) وتسمى أيضاً بالتقدمة المقدسة والخبز السماوي, وخبز الملائكة, وبالذبيحة غير الدموية ووليمة الملكوت^(٤), وربما رُمِّز تعدد الأسماء الى أهمية الطقس في الديانة المسيحية ولعله يكون دليلاً أيضاً على التطورات التاريخية والعقائدية التي تعرض لها خلال الفترات الزمنية المختلفة.

ويمثل الطقس أحد أسرار الكنيسة، وكلمة (سر) أصلها يوناني وتعني المخفي أو المستور, والمرادف اللاتيني لها هو (Sacramentum) ويحمل معنى أكثر عمقاً فهو يدل على خدمة إلهية على مستوى الكنيسة, أما في المفهوم اللاهوتي فتعني حقيقة أو حقائق إلهية ثابتة ومستمرة كانت مخفية ومكتومة لأنها تفوق قدرة الانسان العقلية أو هي اعلى من مستواه الروحي واعلنها الله تعالى للانبياء والرسل والقديسين،

ثم للكنيسة وذلك بوحى أو إلهام كما صنع السيد المسيح مع تلاميذه في العشاء الرباني، وهم يؤمنون إنّه حاضر بقوته في جميع اسرار الكنيسة لأنه يمثل سر البركة والنعمة بحلوله وحضوره وعمله^(٥).

والافخارستيا في اعتقاد المسيحيين هي ليست واحداً من الأسرار الكنسية فحسب، بل هي سر الكنيسة الأول لأنّ الكنيسة هي جسد المسيح السري والافخارستيا هي سر جسد المسيح فهي العمل الأساسي في الإيمان وشعائر العبادة وهم يؤمنون أنّهم حين يشتركون معاً في الطقس يكون المسيح موجوداً معهم بجسده وجوداً حسيماً مادياً، ويدّعون إنّه كما أبرم العهد بين الله واليهود بدم الذبائح على جبل سيناء كذلك يُبرم العهد الجديد بين الله وجميع البشر بدم يسوع المسيح الذي جعل لذبيحة القربان معنىً جديداً وهو التضحية التي يبذلها الانسان وفاءً بالواجب فيعرض حياته للموت طوعاً واختياراً في سبيل المبدء الذي ارتضاه لنفسه وتكون التضحية وفقاً على مدى الخضوع لأوامر الله واتخاذ السبل المناسبة لعبادته^(٦).

والتعبد في المفهوم الكنسي ليس مجموعة من المراسيم يمارسها الانسان مرضاة لخالقه إنّما هي وقبل كل شيء، التعرف الى الله تعالى على أساس كونه محباً للبشر فهم يعتقدون أنّ النبي آدم كان يعبد الله في الفردوس الأعلى ولكنه سقط في المعصية فطمس العصيان بصيرته الداخلية ولهذا أرسل الله الشريعة الموسوية لتعرفنا على الله كمحب لنا ثم أرسل يسوع المسيح لتتعرف من خلاله على حقيقة حب الله لنا^(٧).

ويُنسب الطقس بحسب الأناجيل الاثناوية^(٨)، الى ذكرى العشاء الأخير للسيد المسيح مع تلاميذه في الليلة التي سبقت قرار صلبه^(٩) ففي العشاء أخذ رغيفاً وبارك وكسر وأعطى التلاميذ قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم فإنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد والذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، وأتّه قال:- هذا جسدي الذي يُبذل لأجلكم، افعلوا هذا لذكرى^(١٠).

ويمثل الطقس ذروة كل عمل تعبدي عند المسيحيين لانهم يؤمنون بأنّ السيد المسيح قدّم نفسه، ذبيحة مقدسة من أجل خلاص البشر فجسده في سر الافخارستيا هو جسد طاهر بلا خطيئة وحين يتناولون من ذلك الجسد يصيرون هم أيضاً مقدسين وطاهرين أيضاً فبتحول الخبز الى جسد المسيح المقدس والخمر الى دمه الثمين يصبح غفارة للخطايا ورجاء للقيامة وقوة روحية لكل من يتناولونه بإيمان راسخ^(١١).

ويؤمنون بأنّ الافخارستيا هي تحقيق لما ورد في العهد القديم (التوراة) من نبوءات وتقدمات ورموز وأحداث فتدبير الله واحد في العهدين القديم والجديد، وكل ما اعلنه في الماضي يكون رمزاً وتمهيداً لما يعمله الله في الحاضر والمستقبل من اجل خلاص البشرية بدليل أنّ السيد المسيح أسس سر الافخارستيا ضمن الاحتفال بعيد الفصح اليهودي^(١٢)، معتمداً في ذلك على الخلفية التي كانت لديهم حول الاحتفال بهذا العيد فيعتقدون أنّه اختار هذا اليوم بالذات لما له من صفة رمزية، وللربط بين الفصح في العهد القديم والافخارستيا في العهد الجديد^(١٣).

ويربط المسيحيون بين الذبيحة الطاهرة التي ذُكرت في أسفار التوراة^(١٤) وبين جسد المسيح ودمه، وبين تقدمه الدقيق التي كان على اليهودي - بحسب الشريعة - أن يقدمها في حالة شفائه من مرض البرص، وبين خبز الافخارستيا الذي يُقدم تذكراً للآلام التي تحملها المسيح لأجل خلاص البشر الذين ولدوا وهم يحملون معصية ابيهم آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها^(١٥).

ويؤمنون بأن اكتمال التأريخ المقدس وجدّ في شخص يسوع المسيح كونه تجلي الله الحي الذي نزل من السماء، وهو (خبز الحياة) الذي بوسع المسيحيين أن يتغذوا منه، كما انزل الله تعالى (المن) لبني اسرائيل في البرية ليأكلوا منه^(١٦).

ويعتقدون أن الافخارستيا تمتد جذورها الى الطقوس اليهودية المعروفة في أعيادهم حينما يقوم رئيس المائدة في الاحتفال بكسر الخبز ورفع الصلاة ثم يوزع لقمة لكل مدعو وبعدها يشربون كؤوس الخمر مقرين أن كل شيء هو عطية من الله، وهو ما يسمى بعشاء (الشبورة) اليهودي، وأن الله وضع هذا الطقس لليهود ليكون رمزاً تُفهم من خلاله الافخارستيا المسيحية، وفيه يقدم اليهود صلاة خاصة تدعى البركة (Beraka) وهي صلاة شكر الى الله من أجل خلاصهم من العبودية، أما في تأسيس سر الافخارستيا فإن السيد المسيح لم يقدم الشكر فقط، بل قدّم حياته ذبيحة فداء وشكر عن البشرية جمعاء، وفي وجبة الشبورة اليهودية كان رب الأسرة يكسر الخبز لأجل توزيعه فقط، أما في العشاء الأخير فقد كسره يسوع المسيح بعدما قدّسه وحوّله الى جسده ثم قام بتوزيعه^(١٧).

ومن الجدير بالذكر أن المسيحيين انفسهم يختلفون في تفسيرهم لمعنى العشاء الرباني فينقسمون الى ثلاث فرق رئيسية، تعتقد الفرقة الاولى بأن الخبز والخمر يتحول فعلياً الى جسد المسيح ودمه الحقيقيين بعد أن تتلى عليه كلمات التقديس، وتؤمن الفرقة الثانية بأن الخبز والخمر يبقيان كما هما إلا أن المسيح موجود روحياً بالإيمان فيهما ومن خلالهما بينما أكدت الفرقة الثالثة على أن الخبز والخمر، مجرد تذكارات مستمرة للسيد المسيح وهما لا يتغيران وأنهم حين يشتركون في العشاء يظهرون قبولهم ومحبتهم له وتذكاراتهم لموته على الصليب من أجل غفران خطايا البشر فيتقوى إيمانهم^(١٨).

ومن الواضح أن الفرقة الأولى قد بالغت في الأمر وحملت الآيات الانجيلية ما ليس فيها وفسرتها تفسيراً مادياً حرفياً في حين ركزت الفرقة الثانية على حضور السيد المسيح الروحي وأكتفت الثالثة بالاعتراف بأن الحادثة لم تكن سوى تذكارات أخير لاجتماع المسيح مع تلاميذه وأنهم يحتفلون بها ليتقوى إيمانهم ومحبتهم، ولعل ذلك هو الرأي الصحيح.

كما انقسمت المذاهب المسيحية في أوقات احتفالها بالافخارستيا، فالبروتستانت^(١٩) لا يهتمون كثيراً بممارسة الطقس وإن مارسوه لم يعتقدوا أن المسيح يحضر فعلياً وإنما هي أمور رمزية للذكرى، أما

الأرثوذكس^(٢٠) فيحتفلون في أيام الأحد والاعياد، في حين يرى الكاثوليك^(٢١) أنّ الافخارستيا قلب عبادة الله اليومية مما يحدوهم على الاحتفال بها كل يوم^(٢٢).

المبحث الثاني : خصائص طقس الأفخارستيا

يمثل الطقس الأفخارستي عدة خصائص وأمور مرتبطة معاً برباط وثيق كأجزاء لعمل واحد يصعب فيه تحليل معنى خاص لكل جزء على انفراد^(٢٣). وسنعرض تلك الخصائص عند الفئة التي تعتقد بأنّ الخبز والخمر يتحول فعلياً الى جسد المسيح ودمه لأنّ الطقس الذي تمارسه تلك الفئة تتمثل فيه المؤثرات الوثنية - موضوع البحث - ويتمثل بعدة مراحل يتعلق بعضها بالاستعداد لأداء الطقس بينما يمثل البعض الآخر خصائص الطقس نفسه وخطواته المحددة.

فيشترط على المسيحي الذي يحضر القداس أن يكون على صورة الاستعداد اللائق للمشاركة في هذا الحدث المهم ويتم هذا الاستعداد عن طريق الاعتراف بخطاياهم وذنوبهم والتوبة عنها و أن يقطع عهداً بأن لا يعود إليها فهناك علاقة تربط بين سري الأفخارستيا والتوبة وقد حذر آباء الكنيسة من التناول بدون التوبة والاعتراف بالذنوب فالمصالحة مع الآخرين والسلام معهم شرط أساسي في تقديم الذبيحة غير الدموية بحسب ما جاء على لسان السيد المسيح اذ قال: "فاذا جئت بنقدمتك الى المذبح وهناك تذكرت أنّ لأخيك شيئاً عليك فاترك تقدمتك امام المذبح واذهب أولاً وصالح أخاك ثم ارجع وقدم تقدمتك"^(٢٤).

فكانت جموع الحاضرين في القداس تعترف بأخطائهم وتتوب منها ويكون ذلك بتلاوة صلاة خاصه يقول مطلعها: ارحمني يا الله بحسب رحمتك وبحسب كثرة رأفتك وامح معاصي، ومن لا يتصلح مع الجميع ويحضر القداس يأكل ويشرب الكأس بغير استحقاق فيحسب مجرماً تجاه جسد المسيح ودمه^(٢٥).

وتكون المصالحة وارجاع علاقات المودة بصورة فعلية وهذا هو الوضع السليم والواجب وإنّ تعذر الأمر فيكفي أن تكون على الأقل بقلب خالٍ من الخصومة والكراهية وأن يغفر الشخص لمن اساء إليه بحسب تعاليم السيد المسيح "فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم"^(٢٦).

وظهر تبعاً لذلك طقس خاص من ضمن الأفخارستيا يسمى (قبلة المحبة) أو (القبلة المقدسة) اذ بعد أن يصلي الكاهن صلاة الصلح يدعو في نهايتها قائلاً: - واجعلنا مستحقين كلنا يا سيدي أن نقبل بعضنا بعضاً، فيقوم جميع الحاضرين بتقبيل بعضهم فيقبل الرجال الرجال والنساء يقبلن النساء ويقول كلٌّ للآخر: المسيح في وسطنا ويجب الآخر: الآن وهكذا يبقى حالاً بيننا^(٢٧).

ويتم الاستعداد للقداس أيضاً من خلال التأكد من نية الشخص وهل هو في حالة النعمة أم في حالة الخطيئة قبل أن يحضر القداس وتعني حالة النعمة الاعتقاد بأنّ التحول الخفي للخبز والخمر يحصل

عندما يلفظ الكاهن كلام التقديس عليهما وهو من خاصيات الالوهة وحدها ولا يجدر بالإنسان أن يحاول معرفة كيف يحصل هذا التحول وإلا وقع في الخطيئة نفسها التي وقع فيها (آدم وحواء) وهي المعرفة والتساوي بالخالق، فيجب أن يؤمنوا بهذا التحول قابلين بالنتائج فقط وإذا ماشك في الأمر فيكون في حالة الخطيئة وهو بهذه الحالة قد استحق نار جهنم الأبدية وهذا ما تسميه الكنيسة بخطيئة (المناولة النفاقية المنتهكة للأقداس) (٢٨).

ويتوجب على الكاهن الذي سيؤدي الطقس أن يستعد أيضاً له فينقي قلبه من الأفكار الشريرة وأن يصوم فيتهياً روحياً وجسدياً للقيام بعمله، وتتم تهيئة الحضور في الدخول الى الطقس من خلال دعاء كيرياليسون (Kyrie eleison) وهو دعاء يوناني معناه (رحماك يا رب) يتلى من خلال محاورة بين الكاهن والشماس (٢٩).

يقوم بعدها الكاهن بفتح الباب الملوكي وهو أحد أبواب الجدار الواقع بين صحن الكنيسة وقدس الأقداس وهو الجزء المهم من أجزاء الكنيسة ويوجد فيه المذبح وفيه يتم سر القربان ولا يسمح لأحد بالدخول الى الباب أو الخروج منه سوى الكاهن وترسم عليه أيقونة بشارة العذراء للتذكير بأن العذراء هي الباب السماوي كما ترسم فوق الباب أيقونة العشاء السري وصور القديسين، ويفتح الكاهن الباب وهو يرسم علامة الصليب ثم يسجد على الأرض (٣٠).

ويرتدي الكاهن والشماس ملابس خاصة بالمناسبة وهي حلة كهنوتية من الكتان الابيض تُبارك وتقدس برسم شارة الصليب عليها وترديد الصلوات ويتبع ذلك غسل الأيدي الذي يرمز الى الطهارة من كل خطيئة ويأن الكاهن سيقف جسراً بين الله والانسان لتعبر عليه تقدمات البشر وتتحدر بواسطة مواهب الله إليهم (٣١).

وبأتي الشماس الى المذبح لترتيب (خدمة الذبيحة) وتعني ترتيب الأواني التي يتم القداس فيها فيضع الصينية الى جهة الشمال والكأس الى اليمين ويرتب بجانبها بقية القطع، وكانت تلك الأواني في العصور المسيحية الأولى من الزجاج أو المعدن الخفيف واحياناً من الخشب ثم أصبحت من الذهب والفضة بعد انتشار الديانة المسيحية، وتُدشن تلك الادوات بتلاوة صلاة خاصة ويعمد رئيس الكهنة الى مسح الكأس ب (الميرون) (٣٢).

وتوضع (القربانة) في تلك الأواني، وهي قطعة من الخبز مفلطحة ومستديرة ليس لها بداية أو نهاية لتشير الى سرمدية المسيح الذي لا بداية لأيامه ولانهاية، وتخبز تلك القربانات من دقيق القمح الخالص وتُعد في وقار عظيم في مبنى ملحق بالكنيسة يسمى (بيت لحم) إشارة الى المكان الذي وُلد فيه المسيح في

فلسطين ومعناه (بيت الخبز) ويعدها الشماسون أو اناس مكرّمون وهم يترنمون بالمزامير التوراتية أثناء إعدادها^(٣٣).

وبشترط فيه أن يكون خبز يومه وان يكون مختمراً لكن بغير ملح، وسر عدم تملّحه - بحسب الاعتقاد المسيحي - هو أنّ السيد المسيح هو ملح العالم، فلا يحتاج الى ما يملّحه، ويقوم الكاهن برسم علامة الصليب على قطعة الخبز تلك بالحرية وهو يردد: - لتذكّار مخلصنا يسوع المسيح، ويكمل الشماس قائلاً: - كل حين الان وكل اوان والى دهر الداهرين ويكرر القول ثلاث مرات، ثم يغرز الكاهن الحرية في يمين القربانة فيقطعها وهو يقول: - مثل الخروف سيق الى الذبح، ويقطع من جهة الشمال قائلاً: - ومثل حمل برئ من العيب صامت أمام الذي يجزه هكذا لا يفتح فاه، ثم يقطع الجهة العليا ويدخل الحرية تحت ختم القربانة وهو طبع اشارة الصليب فيها ويقطعها قائلاً: - أنّ حياته قد ارتفعت من الأرض، ويعتقدون أنّ تلك الشعائر ليست سوى سرد عملي لآلام السيد المسيح وصلبه^(٣٤).

ومن الغريب أنّ يشبه المسيحيون السيد المسيح بالخروف الذي سيق الى الذبح لمجرد ربط ذلك بحمل الفصح اليهودي، والمسيح لم يُذبح أصلاً وكان قرار الحكم عليه ينص على الصلب وليس الذبح كما أنّ تشبيهه بالخروف فيه إذلال وتقليل لقيمتة الكبيرة كني مرسل من الله لإبلاغ البشر وهدايتهم ومن الواجب احترام تلك الصفة العظيمة.

ويقوم الشماس بتناول كأس الخمر بيمينه وكأس الماء بشماله ثم يسكب منها في كأس واحد وهو يقول: - بارك يا سيدي الإناء المقدس، فيبارك الكاهن قائلاً: مبارك اتحاد قديسيك^(٣٥).

ويشير مزج الخمر بالماء الى اتحاد السيد المسيح الذي لا تقسم عراه بالمؤمنين فيقول القديس قيريانس^(٣٦) : بأنّه لا غنى عن الماء لأنه يمثل الشعب المسيحي فإن قُدمت الخمرة فقط يكون جسد المسيح حاضراً بدوننا وبالمقابل إن كانت الماء وحدها يكون المؤمنون وحدهم بدون المسيح فلا بد أن يُمزج الواحد بالآخر ليتحقق السر الروحي والسماوي، كما أنّ الطحين والماء لا يمكن لأحدهما أن يشكل الخبز بل هو باتحادهما معاً. فتكون الافخارستيا هي جسد ودم المسيح وهي أيضاً نبيحة المسيح وهذان هما جوهر عقيدة الكنيسة^(٣٧).

ولانفهم الدليل الذي استندت عليه الكنيسة في تقسيماتها تلك فلماذا يمثل الخمر السيد المسيح؟ ويمثل الماء الشعب المسيحي؟ وما السر الروحي والسماوي المتحقق بامتزاجهما؟ ولعل الامر لا يعدو كونه مجرد اجتهاد من أجل إعطاء قدسية خاصة لأمر محددة لاتحمل في حقيقتها أية صفة خاصة لاضفاء القداسة والغموض على الطقس.

ويقطع الكاهن القربانة (قطعة الخبز) الى أجزاء صغيرة تذكراً للعذراء وللملائكة ولأنبياء بني اسرائيل ثم للقديسين ورسل السيد المسيح وآباء الكنيسة والشهداء كما يذكر أسماء الموتى بعد انتهائه من ذكر أسماء الأحياء حتى لا يُحرموا من نعمة التقديس ثم يقرع جرساً صغيراً ليعمد الحاضرون حينها الى ذكر الأسماء التي تخصهم ممن لم يستطيعوا حضور القداس أو كانوا من الموتى فيقطع الكاهن الأجزاء عنهم في حين يقوم الشماس بتبخير المكان بالرائحة الزكية^(٣٨).

وتبدأ مرحلة ثانية من القداس برفع الصلاة المشتركة التي تؤكد أن تأسيس الكنيسة كان من أجل أن يكونوا مجتمعين وليس منقسمين فيما بينهم وتسمى تلك الصلوات (بالطلبة السلامية الكبرى والانديفونات) وهي جمل موسيقية وجيزة ترافق الترنيمة بأحد المزامير أو الأناشيد^(٣٩).

ويتوسلون من خلال تلك الصلاة الى الله في أن يحل السلام على العالم وأن تثبت الكنائس في سائر المدن والقرى والساكنين فيها كما يطلبوا خلاص المسافرين والمرضى والمحتاجين والاسرى ونجاة الجميع من كل ضيق وخطر وشدة، وتُرتل تلك (الانديفونات) مصحوبة باللازمة التي يرددها الحضور قائلين:- بشفاعة والدة الاله يا مخلص خلصنا. وتستخدم بعض الكنائس آلات موسيقية تصاحب تلك التراتيل^(٤٠).

ويرتل الحاضرون لحن البركة بينما يقوم الكاهن بصلاة تسمى (صلاة الاستعداد) ثم يشترك الجميع في التسبيح بمزامير وصلوات خاصة تسمى صلاة السواعي أو الأجبية وهي مزامير خاصة برحلة عذاب السيد المسيح حين سُمّر على الصليب بالمسامير وتكون تسابيح السواعي مدخلاً رسمياً للأفخارستيا فهي تؤهل من يسمعها لقبول نعمتها والاحساس بها^(٤١).

ويستمر الكاهن بترتيل الأدعية التي يؤمن عليها الحاضرون ثم يتلوا فصلاً من الإنجيل ويلقي عظة ثم يُبخر حول المائدة والمذبح والمجتمعين وهو يواصل دعاءه، ويسجد امام المائدة ويقبلها ويأخذ الصينية بيده اليسرى قائلاً بصوت خفيض:- سعد الله بتهليل الرب بصوت البوق، ويأخذ الكأس بيده اليمنى ويجهر بصوته قائلاً:- ليُذكر الرب السماوي كل حين الآن وكل أوان والى دهر الدهرين. وفي أثناء ذلك يُحرك شماسان خادمان، مراوح مصنوعة من الريش دلالة وجود الملائكة حول المذبح^(٤٢).

ويتقدم الحضور الى المناولة فيجتو الشخص ضاماً يديه الى صدره بشكل صليب ويقول اسمه ويفتح فاه فيتناول بالمعلقة قطعة الخبز وشيئاً من الخمر ويضع تحت ذقنه طرف ستر المناولة الذي يكون الكاهن ماسكاً به من الطرف الآخر وبعد أن يمسح به شفثيه يعود الى مكانه ولا يخرج من الكنيسة الا في نهاية القداس الالهي^(٤٣).

ويجب أن يتم تناول بقناعة تامة كما لو تتناول جسد المسيح ودمه - بحسب الاعتقاد المسيحي - لأنه في صورة الخبز أعطاك جسده وفي صورة الخمر أعطاك دمه لكي تصبح عند تناولك ذلك جسداً ودماً

واحداً معه وهكذا تصبح صورة حياة له ففي أعضاء جسده تجري دماؤه وتنمو عضلاتك وتتغذى بجسده وبهذه الطريقة يصبح المسيحيون شركاء في الطبيعة الالهية ولهذا أكد آباء الكنيسة على أن لا يدع المتناولون جزءاً مهماً كان صغيراً من الخبز يسقط على الأرض لئلا يضيع شيئاً من الهبة المقدسة إليهم^(٤٤).

ويقوم الشماس بتقديم صلاة شكر للسيد المسيح على محبته لهم وبذله ذاته من أجلهم وقبوله بالذبح ثم يأمر الموجودين بأن يحنوا رؤوسهم للرب ويقدم البركة الختامية وهي بركة الملائكة والقديسين لينهي بذلك طقس القداس^(٤٥).

ويعتقد المسيحيون أن المسيح قد دُبح مع أن الأناجيل تذكر أنه حُكم عليه بالصلب والصلب يختلف تماماً عن الذبح كما يؤكدون على تحول الخبز والماء الى جسد المسيح الحقيقي ودمه ويضعون في مؤلفاتهم بعض الصور المقززة لأشخاص يسيل الدم من أفواههم بعد اداءهم لطقس الأفخارستيا، حسب زعمهم، فكما أن اليهود كانوا يذبحون ويأكلون الحملان احتفالاً بعيد الفصح وذكرى نجاتهم من فرعون مصر فهم يأكلون لحم المسيح باعتباره خروف الفصح وحمل الله المذبوح على الصليب ويشربون دمه في ذكرى خلاصهم من الذنوب بفعل تضحيته بنفسه من أجلهم، وتلك عقائد باطلة تنتقص من قدر السيد المسيح ومكانته الكبيرة وتجعله مجرد إله وثني اسطوري يتقاسم المؤمنون به جسده ودمه فضلاً عن عدم وجود ما يؤيد تلك العقائد أو يدعو إليها في الكتاب المقدس .

المبحث الثالث : تأثر طقس الأفخارستيا بالوثنية

تختلف رواية العشاء الأخير التي أسس عليها طقس الأفخارستيا، في إنجيل يوحنا^(٤٦) إختلافاً جذرياً عما ورد في الأناجيل الاثرية فهي لا تتم في صورة العشاء الذي جمع المسيح مع تلاميذه بل تكون من خلال مواظبة الى اليهود وقوله لهم: "إنَّ لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم من يأكل جسدي مأكلاً حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه"^(٤٧).

وان كثيراً من تلاميذه اذ سمعوا منه هذا الكلام تدمروا أو قالوا:- "أنَّ هذا الكلام صعب من يقدر أنَّ يسمعه؟"^(٤٨) وكلمة (صعب) المترجمة في تلك الآية هي في الاصل اليوناني (سكليروس) ولا تعني صعوبة في الفهم ولكنها تعني صعوبة في القبول والاحتمال^(٤٩).

ولعل تلك الصعوبة تتوضح في كون أنَّ المستمعين والتلاميذ انفسهم كانوا يهوداً. والدم في الفكر اليهودي هو أساس الحياة وقد حرمت الشريعة اليهودية تناول اللحم بدمه^(٥٠)، كما نصت على أنَّ الدم هو النفس "فإياكم وأكل الدم"^(٥١).

وكان تحريم الدم يرجع الى عهد النبي نوح^(٥٢) بسبب أن أكله كان يعبر عن ممارسة وثنية شائعة ويتم على امل اكتساب خصائص الحيوان المذبوح كالقوة والسرعة وغيرها من الخصائص فنهى الله تعالى بني اسرائيل عن شربه لأنّ عبادتهم يجب أن تكون مختلفة ومتميزة عن ممارسات الامم الوثنية المحيطة بهم^(٥٣)

ولعل هذا يفسّر تحيّر السامعين وصعوبة تقبلهم قول المسيح بأنّ كل من يشرب من دمه يثبت فيه، حتى لو كان قوله على سبيل المجاز وليس المعنى الحرفي للعبارة ؛ لأنّ الفكرة مرفوضة أصلاً وفقاً للشريعة اليهودية فكيف اصبحت فيما بعد إحدى أهم اسرار الكنيسة؟ وأهم طقوسها؟ ويمكن توضيح الأمر من خلال التتبع لبداية ظهور الطقس وكيف تحوّل من شعيرة بسيطة وواضحة الى سر من الأسرار التي لا ينبغي على المسيحي المؤمن سوى تطبيقها دون أن يفهم أو يسأل عن سر حدوثها.

بدأ الأمر حين كان المؤمنون الأوائل يجتمعون باسم يسوع المسيح ويكرمون ذكره دون أن يقطعوا صلاتهم بالهيكل إذ كانوا يترددون اليه للصلاة ويلتقون فيه سوياً ثم أصبحوا يواظبون على "تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات"^(٥٤).

وكان كسر الخبز بدل أن يقطع من عادات اليهود، واخذ المسيحيون الاوائل يفعلون ذلك من أجل إحياء ذكرى عشاء المسيح الاخير مع تلاميذه، ويمثل لقاءهم فرصة لاستنكار توصياته الاخيرة عشية الحكم عليه بالصلب والتعبير عن ايمانهم به وحبهم له دون أن تأخذ تلك اللقاءات طابعاً ليتورجياً^(٥٥).

وتولّد الخبرة الدينية المباشرة حالة انفعالية قد تصل في شدتها حدّاً يستدعي القيام بسلوك ما، من أجل اعادة التوازن الى النفس والجسد اللذين غيرت التجربة من حالتها الاعتيادية فيتولد طقس معين يرى فيه الأفراد تعبيراً عن تجاربهم الفردية الخاصة ثم يتحول من أداء فردي حر الى أداء جمعي ذي قواعد واصول مرسومة بدقة^(٥٦).

فأصبحت تلك الاجتماعات أو اللقاءات منذ القرن الثاني للميلاد، أقداساً أي سلسلة منتظمة القراءات والصلوات الجماعية والدروس والتراتيل^(٥٧).

ولعل على الارجح أن حصول هذا التطور كان لدخول عقيدتين اخذتا بلب المسيحيين، تقول الأولى بأنّ المسيح موجود حقيقة في وسط الاجتماع القرابي وعلى اتصال مباشر وشراكة فعلية مع الحاضرين فيه، والعقيدة الثانية، ظهور مفهوم التحول والذي يعني تحول الخبز والخمر بفعل طقوس التقديس الى لحم ودم المسيح الحقيقي بحيث يصبح تناولهما تجسداً مادياً وروحياً للمسيح في دواخل المؤمنين بذلك، ولا شك أن تلك العقائد لم تجد اطارها الفكري النهائي بصورة اعتباطية بل نتيجة لأسباب تتعلق بظروف وبأشخاص

سنسلط عليها الضوء، من خلال تقصي البيئة التي ولدت وانتشرت فيها المسيحية والمؤثرات التي تعرضت لها.

نشأت الجماعة المسيحية في فلسطين أولاً ثم انتشرت في جميع أرجاء الامبراطورية الرومانية لا سيما بعد اتخاذها ديناً رسمياً للدولة زمن الامبراطور قسطنطين الكبير (٣١٢ - ٣٣٧ م)^(٥٨).

وكانت اجتماعات المسيحيين تجري في البيوت الخاصة فكان بوسع الأغنياء منهم أن يوفروا موضعاً لهذا الغرض في منازلهم الواسعة، ثم تطور الأمر بعد مرور قرن على رفع السيد المسيح فوجدت بيوت خاصة أُعدت للخدمة الليتورجية وتلك كانت الكنائس الأولى التي كان من ضمن عاداتها، توزيع وتقسيم الأطعمة على الحاضرين وارسال حصة منها بواسطة الشماسة الى الغائبين من الأيتام والأرامل والمرضى والمحتاجين، ومع الخبز والخمر كان يوزع الحليب والعسل وهما يمثلان الارض الموعودة التي أصبحت باعتماد المسيحيين - فيما بعد - هي المسيح ذاته الذي تجري منه جميع المواهب الروحية^(٥٩).

وكان تلاميذ المسيح الأوائل يهوداً ولهذا سمو باليهود المسيحيين واعتبروا شعبة أو فرقة من ضمن الفرق اليهودية ولم تتفصل المسيحية عن اليهودية تماماً وتظهر بشكل ديانة مستقلة إلا في القرن الثاني الميلادي، ثم اجتذبت المسيحية أيضاً يهود الشتات الناطقين باليونانية والمنتشرين في أرجاء الدولة الرومانية، كما دخل الى المسيحية أيضاً، الوثنيون بتأثير التبشير الديني ودعوا (خائفي الله) أو الوثنيين المسيحيين وشهدت المسيحية توسعاً عبر احتكاكها بالديانات الأخرى ولم يكن التأثير متبادلاً بين كل هذه الفئات فحسب بل والخلط بمعنى أصح وهو ما يسمى بالتوفيقية (Syncretisme) أي إيجاد التوافق بين المسيحية والأديان الأخرى^(٦٠).

ومع أنّ الديانات السرية الوثنية كانت تزوي وتتهوى فقد كانت قادرة في ذلك الوقت على التأثير في بعض أشكال وأساليب عبادة وشعائر الكنيسة المسيحية^(٦١).

ونشأت أغلب العقائد المسيحية من الفروض الهادمة لغيرها ومن المزاعم القاطعة ببطلان كل ما عداها فالرأي الذي يغلب ويثبت هو ذلك الذي لا تقض عليه آراء أخرى وكانت اساليب الجدل هي اساليب السفسطائيين وأهل المنطق من الإغريق، وتراكمت المفاهيم شيئاً فشيئاً على عناصر الإيمان الأولى فحولتها الى عقائد نابغة من الميتافيزيقيا الهيلينية وتستخدم مصطلحاتها في التعبير عن قضاياها ولاقى هذا التطور بطبيعة الحال معارضة من الذين تعلقوا بسنن اليهودية - المسيحية الاولى ولم تلبث الكنائس الهيلينية أن اعتبرتهم بدعة في كنيسة الله الكبرى التي دفعت بالإيمان المسيحي الى إنشاء منظومة عقائدية تنمو يوماً بعد يوم وتبتعد عن دعوة السيد المسيح وحوارييه الحقيقية^(٦٢).

ويبدو أنّ الجدل كان مستمراً بخصوص تلك العقائد الدخيلة وعدم اتفاق المسيحيين أنفسهم عليها، مما استدعى أنّ يعقدوا العديد من المجمع الكنسية للبحث في ذلك والاتفاق على رأي موحد لتقرير الطقوس والعقائد، وكان أحد هذه المجمع هو مَجْمَع تراننت (١٥٤٢ - ١٥٦٣م) الذي كان محور نقاشاته حول طقس الأفخارستيا وختمها المَجْمَع بأنّ اعلن أنّ المسيح نفسه يكون حاضراً في الخبز والخمر المطهرين^(٦٣).

فتحول الطقس بأثر ذلك تحولاً كبيراً وأصبح غامضاً وغريباً مع إته كان مجرد لقاء يُعقد بين المسيحيين الاوائل دون أية قواعد ليتورجية محددة حتى اننا نجد في الرسالة الأولى الى مؤمني كورنثوس^(٦٤) تقديم اللوم لهم حين يجتمعون لأكل (عشاء الرب) لأنّ كل واحد يسبق غيره ليتناول عشاءه الخاص "فيظل الواحد جائعاً ويشرب الآخر حتى يسكر"^(٦٥) مما يدلّ بوضوح إته مجرد عشاء عادي يلتزم به المسيحيون إحياءً لذكرى عشاء المسيح الأخير وحسب.

وكان للوثنيات التي كانت منتشرة آنذاك دورها المؤثر في ذلك التحول فكان من المتعارف في العبادات الوثنية أنّ الإله نفسه يحلّ حلولاً فعلياً في الذبيحة المقدمة على المذبح وحينما يأكل المتعبّد منها فإنه بالفعل يأكل حرفياً الإله نفسه ويتغذى به ويتقوى بقوته ويحيا بحياته ويمتزج معه وحين يغادر العابدون كان كل واحد منهم يوقن تماماً بأنّ حيوية الإله وقوته قد دبّت في كيانه وانهم قد نالوا البركة والنعمة لأنهم مارسوا نوعاً من الشراكة السرية أو الاتحاد الخفي مع الإله ولكي يصلوا الى ذلك المستوى كانوا يقومون بتمثيل نوع من قصص الآلام التي تدور حول ذلك الإله والأحداث الحزينة التي مرت به ويستخدمون في ذلك كل ما من شأنه التأثير في العواطف والأحاسيس كالإضاءة والموسيقى والبخور^(٦٦).

وكانت معظم الوثنيات السائدة في المناطق التي انتشرت فيها المسيحية، تمارس نوعاً من العشاء السري حيث يؤتى بحيوان هو رمز للإله الميت فيقتل ويؤكل لحمه ويشرب دمه كفعل رمزي للاتحاد الحقيقي بالإله ويعدّ هذا من أقدم الممارسات وأوسعها انتشاراً في أولى الحضارات البشرية إذ اعتقدوا أنّهم يتناولون ويدمجون في أنفسهم شيئاً من المزايا والقوى التي كان يتميز بها حاكمهم الميت وهو ما يتوافق مع طقس الأفخارستيا المسيحية وإنّ كان هناك بعض الاختلافات الرمزية^(٦٧).

وتبنّت المسيحية تلك الافكار وازافت إليها فظهرت تيارات غنوصية منذ وقت مبكر جداً وأصبحت ظاهرة قائمة في داخل الكنيسة وتعنى تفسير الايمان بالاستعانة بصيغ فكرية هيلينية وهي بدع دينية تلفيقية منتشرة قبل المسيحية التي تبنّت بعض أفكارها وطبقتها في طقوس الكنيسة^(٦٨).

ولعلّ أول من تبنى تلك الأفكار الوثنية هو بولس^(٦٩) الذي حاول أن يستنبط أوجه تشابه بين المسيحية والوثنية من أجل أن يكسب رضى الوثنيين ويرغبهم في الدين الجديد بحسب قوله: "لذلك أرى أن لا نتقل

على الذين يهتدون من غير اليهود^(٧٠) فهو لا يتقل على غير اليهود، أي الوثنيين الذين يهتدون الى المسيحية، من خلال إقرارهم على عقائدهم السابقة نفسها التي تعودوا عليها كسباً لرضاهم ومنعاً لنفورهم عن الدين الجديد وبمرور الوقت اصبحت عقائدهم تلك هي الأساس التي تقوم عليه المسيحية اليوم.

وأصبح فكر بولس يمثل المسيحية كعقيدة ودين منذ عقد مَجْمَع نيقية عام ٣٢٥م^(٧١) فهو الذي أسس القربان على اعتبار أن يأكل المسيحيون لحم المسيح باعتباره حَمْلُ الله المذبح على الصليب ويشربون دمه في ذكرى خلاصهم من الذنوب، وازداد عليه زعمه بأنه تلقى افكاره من المسيح نفسه مباشرة بحسب قوله: " أن الانجيل الذي ابشركم به ليس انجيلاً بشرياً فلا انا تسلمته من انسان ولا تلقنته بل جاءني بإعلان من يسوع المسيح"^(٧٢) مع أنه لم يكن من تلاميذ المسيح ولم يعاصره أصلاً وأضيفت آراء بولس بعد ذلك الى الأناجيل الإزائية لاسيما وأن من الثابت أنها كُتبت بعد رسائل بولس وكانت متأثرة بأفكاره التي أراد من خلالها ربط الوثنية بضباب من الإيحاءات المستمدة من تأريخ اليهود، واعتبرت الأغلبية الساحقة من مؤرخي العهد الجديد تلك الآراء حقيقة واقعة ومنها طقس الأفخارستيا في حين أن تلاميذ السيد المسيح وأنصاره الذين أسسوا كنيسة القدس لم يمارسوا أبداً هذا الطقس^(٧٣).

وإنما كانوا يجتمعون بعد رفع السيد المسيح من أجل أن يصنعوا ما أوصاهم لذكره اذ كان قد قال لهم "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم"^(٧٤) وذكره واسمه وحضوره الروحي بينهم كان يوحدهم ويجعلهم جماعة واحدة وجسداً واحداً بالمسيح^(٧٥).

وتوزيع المسيح للخبز والنيبذ لتلاميذه في عشائه الأخير معهم كان أمراً طبيعياً جرى على عادة اليهود حين يأكلون في أيام الأعياد والأيام العادية فينهض كبيرهم على المائدة ويحمد الله ثم يكسر الخبز ويعطي قطعة لكل مدعو وفي نهاية المأدبة يحمد الله ثانية ويمسك كأس النبيذ ويدعو الحضور إليه وما زالت تلك العادة تمارس الآن عند اليهود ولا تحمل أية معاني غامضة، كما تمارسها بعض المذاهب المسيحية أيضاً، أما أن يتحول الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه فهي فكرة مقرزة لليهود ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن بيتهم كما انها تحول وجبة الطعام العادية الى طقس وثني^(٧٦).

وساعد على ذلك انتشار المسيحية في بيئة خاصة وهي الأقاليم التابعة للدولة الرومانية والتي انتشرت فيها الوثنية والعبادات السرية بشكل مميز فكان تقديم القرابين من العناصر الأساسية في العبادة الأغرريقية وتسير وفق خطوات موضوعة منها ارتداء الكاهن وأتباعه للملابس البيضاء وتلاوتهم للصلوات الخاصة بالمناسبة والتي تصحبها الموسيقى^(٧٧).

وعبد الاغريق الإله ديونيس (Dionysus) الذي اعتبروه إلهاً مخلصاً مات لأجل خلاص البشرية وهم يأكلون من جسده ويشربون من دمه في طقوس القربان المقدس، كما صنع المصريون القدماء جسداً

لإلههم من عجيب القمح يأكلونه كقربان مقدس ويشربون الجعة المخمرة من الشعير التي تمثل دمه ويعتقدون أنهم بذلك يشاركونه قوته وصفاته^(٧٨).

ودخلت طقوس أكل لحوم البشر وشرب دمائهم الى المسيحية عن طريق الديانات الوثنية التي كانت منتشرة في شرق المتوسط كديانة الإله ميثرا (Mithra) الذي كان اتباعه يقيمون مأدبة عشاء تسمى عشاء الرب تقديراً لانتصاراته وتوديعه لاتباعه يقوم فيها ذوو المراتب الدينية باستقبال أنصاره وهم يوزعون عليهم أقراص الخبز التي تسمى درثون (Draon) والشراب المسمى هئوم (Haoma) للحصول على القوة الروحية التي يمتلكها الإله^(٧٩).

ونظراً لأن لحم الثور المقدم كقربان كان صعب المنال أحياناً فقد اضطر أتباع الإله ميثراً الى استخدام الخبز والنبذ مكان اللحم وكانوا يرمزون بذلك الى لحم معبودهم ميثرا ودمه تماماً كما يرمز المسيحيون اليوم الى لحم المسيح ودمه بالخبز والخمر^(٨٠).

وكان اسم (عشاء الرب) في الأديان الهلنستية يطلق على وجبات الطعام المقدسة التي كرسها الوثنيون لآلهتهم المنقذة مما سبب حرجاً كبيراً لآباء الكنيسة الأوائل حتى أنهم غيروا التسمية فجعلوها (طقس القربان المقدس) التي هي أقرب الى اليهودية ومع التغيير اللفظي ظل الطقس ينطوي على دلالات سحرية وثنية بأن ثمة معجزة تقع في كل مرة يتناولون فيها القربان فيتحول الخبز والخمر فعلياً الى جسد ودم المسيح^(٨١).

ويعتقد بعض الباحثين المسيحيين أن القدّاس بجملة تعقيداته الطقسية لا ينتمي الى اليهودية بل تضرب جذوره في أعماق التاريخ الوثني القديم حين كان لكل قبيلة معبودها الحيواني وكانت تعتبره إلهاً وكان افراد القبيلة يضحون بهذا الحيوان ويلتهمونه لحماً ودماً اعتقاداً منهم بأن ذلك سيكسبهم فضائل وقوى خارقة كما يعتقد المسيحيون بأنّ التهام جسد المسيح ودمه سيكسب المؤمنين فضائل خاصة ومميزة^(٨٢).

والإفاضة عليهم قوة سحرية تتولد عنها مزايا صوفية لا تحد حتى أصبح طقس القربان يعني إدخال قطعة من الوثنية في الديانة المسيحية، بل إنّها قطعة من وثنية الاسرار^(٨٣).

وعلى الأرجح أنّ ظهور الطقس كان نتيجة اختلاط البيئة اليهودية والهيلينية التي انتشرت فيها المسيحية ووردت في الأناجيل بشكل يتماشى مع الطقوس الوثنية القديمة ثم ظهرت النزعة الى اعطائه بُعداً روحياً كما يدل على ذلك انجيل يوحنا للتقرب من اليهود وساعد على ذلك أنّ الطقس كان معروفاً في البيئة التي انتشرت وتواجدت فيها المسيحية وفي رسائل بولس ما يدل على ذلك. ففي رسالته الاولى الى اهل كورنثوس يتحدث عن أكله اللحوم المذبوحة للآلهة عند الوثنيين ويحذرهم قائلاً: ((إنّ ما يذبحه الامم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب

وكأس شياطين ولا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة الشياطين أم تُغَيَّر الرب؟ أعلنا اقوى منه؟^(٨٤).

ومن ناحية أخرى فإن مراحل تطوّر الطقس تتنافى مع قدسيته ومعناه المادي، فقد بدأ الأمر باجتماع المسيحيين وعدهم ذلك الاجتماع رمزاً لذكرى المسيح ووحدة الأسرة المسيحية ثم ظهرت الكنائس واستمرت تلك اللقاءات دون أن يكون للقدّاس نصوص طقسية معينة بل كان أسقف الكنيسة يبتهل الى الله ابتهالات ارتجالية، واستمر الحال الى مطلع القرن الثالث الميلادي حيث وضعت بعض النصوص ولعل اقدم ما وصل الينا منها هو نصوص (التقليد الرسولي) التي جمعها القديس (هيبوليتس الروماني) حوالي سنة ٢١٥م، فلم تكن هناك طقوس دينية محددة للافخارستيا غير أن خصائص الطقس أخذت تتبلور تدريجياً وفق ما كانت تصنعه كنائس المدن الكبرى الثلاث التي انتشرت فيها المسيحية: روما والاسكندرية وأنطاكية^(٨٥).

لقد رفعت بعض المذاهب المسيحية، عشاء المسيح مع تلاميذه الى أكثر ما ينبغي، وبالغت فيه مبالغات يرفضها العقل ولا يقرها وجعلته سراً من الأسرار ولا نعلم مغزى تلك الأسرار وجدواها ولماذا هي أسرار؟ والسيد المسيح اعلن ذاته للجميع ولعل اصل دعوته الحقيقي هو الوقوف بوجه ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار وهم دون الأمم الأخرى قد امتلكوا محبة الله لهم فكانت دعوته لكل الأقوام الأخرى التي نظروا اليها نظرة ازدراء واستصغار، فلماذا يجعل المسيحيون من دعوة السيد المسيح وبشارته أسراراً خاصة بالكنيسة لا يمكن الوصول الى كنهها ويحملوا النصوص الإنجيلية تأويلات لا تحتملها ويضيفون على العبادة الحقّة ممارسات وثنية تنتقص من قيمة المسيح وتحجم دور رسالته وتجعل حضوره بين جدران الكنائس ورهن مراسيم يقوم بها الكهنة في حين أنه يجب أن يكون أوسع واكثر شمولاً يرتقي بالكنيسة ويتسع بدائرتها وهل من المنطقي اقتسام جسد المسيح ودمه وتناولهما؟ وهم بذلك يفعلون به أشنع مما فعل اليهود حين حكموا عليه بالصلب.

الخاتمة ونتائج البحث

توصل البحث الى عدد من النتائج نوجزها بالنقاط الآتية:-

١. تميزت بعض المذاهب المسيحية بممارستها لطقوس خاصة اطلقت عليها أسراراً، وكان من اهمها، سر الافخارستيا وهو طقس العشاء الرباني المسيحي الذي يحتفلون فيه تذكراً للقاء السيد المسيح الأخير مع تلاميذه وعشائه معهم وكسره الخبز وتوزيعه لهم ووصيته أن يفعلوا ذلك لذكركه فأخذ المسيحيون الاوائل

يفعلون ذات الشيء بعد رفع المسيح دون أن يكون لاجتماعاتهم تلك أية صفة طقسية أو أسرار خاصة وإنما فقط تنفيذاً لوصيته بأن يجتمعوا لذكره.

٢. بدأت المسيحية في فلسطين ثم نمت وانتشرت في المناطق الواقعة تحت حكم الدولة الرومانية التي كانت تدين بالوثنية ثم أصبحت المسيحية، الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية وكان غالبية الداخلين الجدد إليها من الوثنيين الذين دخلوا بفعل التبشير حاملين معهم شعائرهم وبعض عقائدهم القديمة الى المسيحية، وكان للقديس بولس دورٌ كبيرٌ في تثبيت تلك العقائد وجعلها أساساً للديانة المسيحية من أجل كسب أكبر عدد ممكن من هؤلاء ويبدو ذلك جلياً في رسائله الى المؤمنين الجدد والتي أصبحت من ضمن الأسفار الانجيلية ونظراً لأنها تعد من أوائل الأسفار فقد اعتمدها وتأثرت بها الاناجيل الإزائية التي كُتبت في فترة لاحقة لها، وساهم ذلك في تحول المسيحية من ديانة واضحة ومعلنة كان يُنظر إليها في البداية على أنها مذهب من المذاهب اليهودية، الى مجموعة منظومات وعقائد غامضة وصعبة الفهم والتفسير مثل طقس الأفخارستيا الذي كان نسخة طبق الأصل عن طقوس الوثنيين المعروفة في الأديان القديمة.

٣. اختلفت المذاهب المسيحية في طبيعة اعتقادها بطقس الأفخارستيا فالأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون بحرفية كلمات المسيح وأنّ الخبز والخمر يتحولان فعلياً الى جسد المسيح ودمه أو على الأقل إنّ روحه تحل فيهما بينما يرفض البروتستانت ذلك ويعدون الطقس، مجرد ذكرى للعشاء الأخير مع التلاميذ كما لايعترفون بوجود أسرار في الكنيسة والأرجح أنّ معتقدهم هو الصحيح لأنه يوافق المنطق والفكر القويم.

٤. يتضمن طقس الأفخارستيا خطوات محددة يتبعها المؤمنون به معتقدين أنّهم بذلك يضمنون تحول الخبز والنبذ الى اللحم والدم الحقيقي للسيد المسيح وتتضمن إخلاص النية والمصالحة والتسامح مع الجميع وترديد الصلوات والتراتيل الخاصة بالمناسبة وعزف الموسيقى وارتداء ملابس خاصة بالنسبة الى الكهنة والشمامسين المشرفين على إقامة القداس وتناول الخبز والخمر بعد تقديسهما بترديد الصلاة الخاصة عليهما والقيام بنقّب قطع الخبز وطعنها لتمثيل رحلة الأم السيد المسيح حين حُكم عليه بالصلب ويتناولونها لذكرى خلاصهم من الذنوب الذي حدث بتضحية المسيح بنفسه من أجل البشرية ومحو خطيئة النبي آدم بعصيانه وأمر الله تعالى وتلك العقائد بمجملها ليس لها سند في الكتاب المقدس كما أنّها تحاكي الشعائر والأفكار الوثنية إنّ لم تكن نسخة طبق الأصل عنها.

٥. يحاول المسيحيون أنّ يوجدوا جذوراً لطقس الأفخارستيا في الديانة اليهودية من خلال عشاء الشبورة الذي اعتاد اليهود أن يقيموه مع إته يختلف تماماً عن الطقس المسيحي الذي يضرب بتعقيداته

وأسراره في أعماق التأريخ الوثني القديم حيث كانت المجتمعات الوثنية الاغريقية والرومانية والمصرية والاديان الهلنستية تؤمن بأن لحم الإله ودمه يكسب المتناول الشراكة مع ذلك الإله في قوته وصفاته المميزة ويعترف بعض الباحثين المسيحيين بأن طقس الأفخارستيا يمثل إدخال قطعة من الوثنية في قلب الديانة المسيحية.

الهوامش

- (١) ينظر: ابراهيم القمص عازر، مدخل الى الليتورجيا والطقس الكنسي (مطبعة انسييراشن، لا. م: ٢٠١٥) ص ٢٩.
- (٢) ينظر: تادرس يعقوب الملطي؛ المسيح في سر الأفخارستيا (لا. م: د. ت) ص ٦؛ ابراهيم القمص عازر، مدخل الى الليتورجيا، ص ١٩؛ يوحنا يازجي، المصادر الليتورجية (منشورات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، بيروت: ٢٠٠٥)، ص ١٤.
- (٣) دانيال ماهر اسكندر، الأفخارستيا والصليب (مطابع غباشي، مصر: ٢٠١٠) ص ٢٠٨؛ صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ط ٢ (دار المشرق، بيروت: ١٩٩٨)، ص ٤٩، ٥٠؛ هنري بولاد اليسوعي، الأفخارستيا الله فينا بحث في سر القربان المقدس (دار المشرق، بيروت: ٢٠١٠) ص ٩.
- (٤) بولا رأفت عزيز، دراسة ابائية في سر الأفخارستيا (بونتوجراف للطباعة والنشر، القاهرة: ٢٠١٥)، ص ١٤.

- (٥) ينظر: حبيب جرجس، أسرار الكنيسة السبعة، ط٤ (مكتبة الحياة، القاهرة: د. ت)، ص٢ وما بعدها؛ متي المسكين، الأفخارستيا عشاء الرب بحث في الأصول الأولى لليتورجيا ومدخل لشرح القداش وتطوره من القرن الاول حتى عصرنا الحاضر، ط٢ (مطبعة دير القديس انبا مقار، القاهرة: د. ت)، ص٣٧؛ إبراهيم القمص عازر، مدخل الى الليتورجيا، ص٢٨؛ وللمزيد من المعرفة حول اسرار الكنيسة ينظر: القمص يوحنا سلامة، اللاكلى النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة (شركة الطباعة المصرية، مصر: ١٩٩٩)، ص٨ وما بعدها.
- (٦) ينظر: توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، ط٢، ترجمة: كميل حشيمة اليسوعي (دار المشرق، بيروت: ٢٠٠٨)، ص٨٥؛ متي المسكين، الأفخارستيا عشاء الرب، ص٣١؛ جاك جوميه وماتن سباغ، المسيح بن مريم، ط٢ (دار المشرق، بيروت: ١٩٩٩)، ص١٩٨.
- (٧) تادرس يعقوب الملطي، المسيح في سر الافخارستيا، ص٧.
- (٨) وهي كل من إنجيل متي ومرقس ولوقا وسميت بالازائية لأنها تعكس وجهة نظر واحدة في حياة السيد المسيح ورسالته فتسير القصة فيها عبر مفاصل رئيسية متقابلة وهي تتفق كبيراً في اللغة والمضمون وترتيب الأحداث رغم أن كلاً من كتاب تلك الأناجيل الثلاثة عمل بشكل مستقل عن الآخر. ينظر: الكتاب المقدس الدراسي (التعريب والجمع التصويري والمونتاج والاعمال الفنية شركة ماستر ميديا، القاهرة: ٢٠١١)، ص٢٢٤١؛ فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح (دار علاء الدين، دمشق: ٢٠٠٤)، ص١٥، ١٦. وللمزيد من المعرفة عن تلك الأناجيل ينظر: أمل عجيل ابراهيم، السيد المسيح (عليه السلام) في الأناجيل الأربعة - دراسة تحليلية نقدية - (أطروحة دكتوراه قدمت الى كلية الآداب، جامعة الكوفة: ٢٠١٥)، ص١٨ وما بعدها؛ يوسف الكلام، تأريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس (دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق: ٢٠٠٩) ص١٨٧ وما بعدها.
- (٩) للمزيد من المعرفة حول حياة السيد المسيح. ينظر: ج. ق. ف. هيجل، حياة يسوع، ترجمة: جرجي يعقوب (دار التنوير، بيروت: ١٩٨٤)، ص١٠ وما بعدها؛ جون ستوت، المسيح الذي لا مثيل له، ترجمة: نكلس نسيم سلامة (دار النشر الاسقفية، القاهرة: ٢٠١٠)، ص٢٣ وما بعدها.
- (١٠) متي ٢٦: ٢٦، ٢٧، ٢٨؛ مرقس ١٤: ٢٢، ٢٣، ٢٤؛ لوقا ٢٢: ١٩، ٢٠.
- (١١) ينظر: تادرس يعقوب الملطي، المسيح في سر الافخارستيا، ص١٠ وما بعدها؛ متي المسكين، الافخارستيا عشاء الرب، ص٤٥؛ مار عبد يشوع الصوباوي، الجوهرة خلاصة لاهوتية، ترجمة: لويس ساكو (مطبعة الشعب، بغداد: ١٩٧٨)، ص٥٣.
- (١٢) هو أحد أهم الأعياد اليهودية ويحتفل به كل سنة في أول يوم من السنة العبرية تذكراً لتحررهم من العبودية وخروجهم من مصر ويتضمن الاحتفال عشاءً طقسياً يأكلون في أثناءه حَمَل الفصح كما يشربون الخمر أو عصير العنب ويمتنعون عن خلط الخميرة بالدقيق فيأكلون الخبز فطيراً للتدليل على استعجالهم في الخروج. ينظر: خروج ١٢: ١-٥١؛ صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص٣٥٤، ٣٥٥. وللمزيد من المعرفة حول ذلك العيد ينظر: اميل عباس، سدر المواعيد المقدسة (مكتبة السائح، لبنان: د. ت)، ص٨٢ وما بعدها.
- (١٣) دانيال ماهر اسكندر، الافخارستيا والصليب، ص٦٠.
- (١٤) لاوين ١: ٢-٥؛ ملاخي ١: ٧، ٨.

- (١٥) ينظر: تكوين ٢: ١٥، ١٦، ١٧؛ ٣: ١-٧؛ بولا رأفت عزيز، دراسة ابائية في سر الافخارستيا، ص ١٨؛ دوناسيان ملا اليسوع، قراءات في انجيل يوحنا، ط٤، ترجمة: حليم عبد الله، (دار المشرق، بيروت: ١٩٩٣) ص ٤٩.
- (١٦) خروج ١٦: ١٥؛ يوحنا ٦: ٢٩ - ٣٥؛ جان بريير وآخرون، قراءة في العهد الجديد، ترجمة: بيوس عفاص (منشورات مركز الدراسات الكتابية، الموصل: ٢٠٠٤)، ج ١، ص ٢٢٥، ٢٢٦.
- (١٧) ينظر: جان دلورم، دليل الى قراءة الانجيل كما رواه مرقس، ترجمة: بولس الفغالي (دار المشرق، بيروت: ١٩٨٩)، ص ٩٢؛ تادرس يعقوب الملطي، المسيح في سر الافخارستيا، ص ١٤٨. وللمزيد من المعرفة حول تناول الوجبات عند اليهود والمسيحيين ينظر: سامي حلاق اليسوعي، مجتمع يسوع ثقاليده وعاداته (دار المشرق، بيروت: ١٩٩٩)، ص ١١٠ وما بعدها.
- (١٨) ينظر: نخبة من المختص، التفسير التطبيقي (التعريب والجمع التصويري والمونتاج والاعمال الفنية شركة ماستر ميديا، القاهرة د. ت)، ص ٢١٤٩؛ وكيم اسكيف، اقدم الشهادات على عقيدة الافخارستيا، ط ٢ (دار المشرق، بيروت: ٢٠٠٢)، ص ٤٢.
- (١٩) البروتستانتات (Protestants) وتعني المعترضون وهي اسم أطلق على مجموعة الكنائس المسيحية المنتمية الى الاصلاح كما يسمون أيضاً بالانجليين وهي صفة يستخدمونها لوصف حركتهم الاصلاحية بالعودة الى الانجيل واختلافهم بذلك عن الكاثوليك والارثوذكس، وهو اسم اتخذه التيار التجديدي الديني في انكلترا في مطلع القرن التاسع عشر، وقد رفضوا العديد من العقائد المسيحية كأسرار الكنيسة السبعة مثلاً. ينظر: صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص ٦٨، ١٠٤. وللمزيد من الاطلاع على هذا المذهب ينظر: ماكس فيبر، مقالات في سوسولوجيا الدين الثقافة البروتستانتية، ترجمة: منير الفندري (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: ٢٠١٥)، ص ٣٣ وما بعدها.
- (٢٠) ارتوذكسية (Orthodoxie) كلمة يونانية معناها استقامة الرأي وهي تُطلق على الفكر اللاهوتي الموافق لتعليم الرسل وتطلق عبارة الكنائس الارثوذكسية على جميع الكنائس الشرقية والتي ليست متحدة بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية. ينظر: صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص ٢٨.
- (٢١) كاثوليكية (Catholicite) اي جامعة وشمولية والكاثوليك هم جماعة المسيحيين المتحدين ايماناً وطاعة بكنيسة روما. ينظر: صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص ٣٩٠. وللمزيد من المعرفة حول الكاثوليكية ينظر: دنتسنغر وهونرمان، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، ترجمة: يوحنا منصور وحنا الفاخوري (منشورات المكتبة البولسية، بيروت: ٢٠٠١) ص ٧ وما بعدها.
- (٢٢) ينظر: توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، ص ٨٦؛ مسعود حايفي، مدخل الى دراسة تاريخ الاديان (دار الاوائل، سورية: ٢٠١٠)، ص ٦٨؛ محمد علي البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية (دار القلم، دمشق: ٢٠٠٦)، ص ٢٦٨.
- (٢٣) تادرس يعقوب ملطي، المسيح في سر الأفخارستيا، ص ١٠.
- (٢٤) متي ٥: ٢٣، ٢٤.
- (٢٥) آني جويبر، المسيحيون الأولون في القرنين الأولين، ترجمة: البيرابونا (مطبعة الاديب البغدادية، العراق: ١٩٨٢) ص ٦٤.

- (٢٦) متي ٦: ١٤، ١٥؛ دانيال ماهر اسكندر، الافخارستيا والصليب، ص ٤٠٩.
- (٢٧) ينظر: دانيال ماهر اسكندر، الافخارستيا والصليب، ص ٤١١؛ تادرس يعقوب ملطي، المسيح في سر الافخارستيا، ص ١١٨؛ الانبا ابيفانيوس، القديس الغريغوري النص اليوناني مع الترجمة العربية، ط ٢ (دار مجلة مرقس، القاهرة: ٢٠١٥)، ٦٢ وما بعدها؛ غريغوريوس الجبل المقدس، تفسير القديس الالهي، ترجمة: سلون موسى (منشورات دير سيدة البلمند البطريركي، بيروت: ١٩٩٩)، ص ١٧٩.
- (٢٨) ينظر: الياس خليل رحال، حقيقة وجود المسيح في سر الأفخارستيا، (منشورات الحركة الكهنوتية المريمية، بيروت: ٢٠٠١)، ١٦، ١٩.
- (٢٩) الشماسة هم رجال أقامهم الرسل للفرغ للخدمة في الكنيسة ثم اصبحت وظيفة أو درجة كهنوتية تخص رجالاً نالوا سلطان التبشير بالمسيحية والتعميد ومساعدة الكاهن على المذبح وحمل القربان المقدس وتوزيعه وتختلف مهام الشماس في الكنائس البروتستانتية عنها في الكنائس الغربية التي أعطتهم دوراً أكبر. ينظر: أعمال الرسل ٦: ١-٦؛ صبحي حموي اليسوعي معجم الايمان المسيحي، ص ٢٨٦.
- (٣٠) ينظر: غريغوريوس الجبل المقدس، تفسير القديس الالهي، ص ٤١ وما بعدها؛ صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص ٩١.
- (٣١) ينظر: غريغوريوس الجبل المقدس، تفسير القديس الالهي، ص ٥٦ وما بعدها.
- (٣٢) وهو زيت زيتون معطر بالبلسم الذي هو عبارة عن خمر عنب صرف يضاف إليه ٣٥ نوعاً من الطيوب وتُطبخ تلك الانواع وتجمع معاً بيد البطريرك في الكنائس الشرقية ويوزع على الكنائس للدلالة على الوحدة بينها ويستخدم لمنح سري المعمودية والميرون وهو عند الطوائف الشرقية سر من أسرار الكنيسة. ينظر: صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص ٤٩٦.
- (٣٣) ينظر: تادرس يعقوب ملطي، المسيح في سر الافخارستيا، ص ٨٩.
- (٣٤) ينظر: تادرس يعقوب ملطي، المسيح في سر الافخارستيا، ص ٨٨ وما بعدها؛ غريغوريوس الجبل المقدس، تفسير القديس الالهي، ص ٧٢، ٧٣، ٧٤.
- (٣٥) غريغوريوس الجبل المقدس، تفسير القديس الالهي، ص ٧٧.
- (٣٦) ولد القديس في قرطاجنة سنة (٢١٠م) وكان مشهوراً ببلاغته وقد اهدى الى المسيحية سنة (٢٤٥م) ورسم اسقفاً على قرطاجنة حوالي ٢٤٨ - ٢٤٩م، وقد استشهد وقطع رأسه سنة ٢٥٨م في اثناء اضطهاد المسيحيين ايام الملك الروماني فالريانس. ينظر: واكيم اسكيف، أقدام الشهادات على عقيدة الافخارستيا، ص ٥٨.
- (٣٧) واكيم اسكيف، اقدم الشهادات على عقيدة الافخارستيا، ص ٣٥، ٣٦.
- (٣٨) ينظر: غريغوريوس الجبل المقدس، تفسير القديس الالهي، ص ٨٢، ٨٧، ٨٨.
- (٣٩) صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص ٦٩.
- (٤٠) للمزيد من المعرفة حول تلك التراتيل. ينظر: غريغوريوس الجبل المقدس، تفسير القديس الالهي، ص ١٠١ وما بعدها.
- (٤١) متي المسكين، التسبحة اليومية ومزامير السواعي، ط ٢ (مطبعة دير القديس انبا مقار، القاهرة: ١٩٧٩)، ص ٦، ٧.

- (٤٢) ينظر: يوحنا الذهبي الفم، القداس الالهي (منشورات النور، لا. م: ١٩٩٤)، ص ١٩، ٢٣، ٢٦، ٢٨؛ تادرس يعقوب ملطي، المسيح في سر الافخارستيا، ص ١٢٩.
- (٤٣) يوحنا الذهبي الفم، القداس الالهي، ص ٥٥.
- (٤٤) وكيم اسكيف، اقدم الشهادات على عقيدة الافخارستيا، ص ٤٠، ٤٣.
- (٤٥) الانبا انيفانيوس، القداس الغريغوري، ص ١٣٥ وما بعدها.
- (٤٦) هو الانجيل الرابع في العهد الجديد وينسبه التقليد المسيحي الى يوحنا الحبيب تلميذ المسيح وهو أكثر الأناجيل غموضاً وتأثيراً بالفلسفة اليونانية. للمزيد من المعرفة حول الإنجيل. ينظر: نخبة من المختصين، التفسير التطبيقي، ص ٢١٦٤؛ إتيان شرينتييه، من الإنجيل الى الإنجيل، ترجمة: باسيل قوزي (دار المشرق، بيروت: ١٩٩١) ص ٧٧ وما بعدها؛ دوناسيان ملا اليسوعي، قراءات في انجيل يوحنا، ترجمة: حليم عبد الله، ط ٤ (دار المشرق، بيروت: ١٩٩٣)، ص ٥ وما بعدها.
- (٤٧) يوحنا ٦: ٥٣ - ٥٦.
- (٤٨) يوحنا ٦: ٦٠، ٦١.
- (٤٩) وليم باركلي، تفسير العهد الجديد شرح بشارة يوحنا، ترجمة: عزت زكي (دار الجيل، القاهرة: د. ت)، ص ٣٦٦.
- (٥٠) تكوين ٩: ٤.
- (٥١) تثنية ١٢: ٢٣.
- (٥٢) تكوين ٩: ٤.
- (٥٣) نخبة من المختصين، التفسير التطبيقي، ص ٢٤٨.
- (٥٤) اعمال الرسل ٢: ٤٢.
- (٥٥) ينظر: صبحي حموي اليسوعي، معجم الايمان المسيحي، ص ٣٩٧؛ بيوس عفاص، قراءة مجددة للعهد الجديد (مركز الدراسات الكتابية، الموصل: ١٩٩٨)، ص ١٢٣؛ فاضل سيداروس اليسوعي، تكوين الاناجيل (دار المشرق، بيروت: ١٩٨٩)، ص ٢٦.
- (٥٦) فراس السواح، دين الانسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط ٤ (دار علاء الدين، سورية: ٢٠٠٢)، ص ٢٢، ٥٣.
- (٥٧) شارل جنبيير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود (منشورات المكتبة العصرية، بيروت: د. ت)، ص ١٦٠، ١٦٥.
- (٥٨) ينظر: افغراف سمير نوف، تاريخ الكنيسة المسيحية، ترجمة: الكسندروس، ط ٩، (مكتبة الساغ، بيروت: ١٩١١)، ص ٦٣. وللمزيد من المعرفة حول الامبراطور قسطنطين ينظر: يوسابيوس القيصري، حياة قسطنطين، ترجمة: مرقس داود (مكتبة المحبة، القاهرة: د. ت) ص ٧ وما بعدها.
- (٥٩) أني جويير، المسيحيون الأولون في القرنين الأولين، ص ١٢٧، ١٧٦.
- (٦٠) جان بريير وآخرون، قراءة في العهد الجديد، ج ٢، ص ١٠، ١١، ١٢، ٤٤.

- (٦١) جي أد كومزونسكي وأم جيمس سويز ودانيال بي ولاس، أعيون اختراع شخصية يسوع، ترجمة: سامي رشدي مرجان (شركة الطباعة المصرية، القاهرة: ٢٠١٠)، ٢٠٨.
- (٦٢) شارل جنبيير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٥٨، ١٥٩.
- (٦٣) محمد علي البار، دراسات معاصرة، ص ٢٦٧؛ وللمزيد من المعرفة حول المجامع الكنسية واسباب انعقادها ينظر: ميشال أبرص وانطون عرب، مدخل الى المجامع المسكونية (المكتبة البولسية، بيروت: ١٩٩٦)، ص ٢٠ وما بعدها.
- (٦٤) وهي احدى رسائل العهد الجديد وقد كُتبت الى أهل كورنثوس وهي مدينة وميناء بحريّ ومركز تجاريّ وكانت تسودها الوثنية وأغلب الذين دخلوا الى المسيحية فيها كان من هؤلاء. ينظر: نخبة من المختصين، التفسير التطبيقي، ص ٢٤١٨؛ ه. ه رولي، اطلس الكتاب المقدس (دار النشر المعمدانية، بيروت: ١٩٨٣)، ص ٢٣.
- (٦٥) الرسالة الأولى الى مؤمني كورنثوس ١١: ٢١.
- (٦٦) وليم باركلي، تفسير العهد الجديد، ص ٣٥٧، ٣٥٨. وللمزيد من المعرفة حول تأثر المسيحية بالأديان الوثنية. ينظر: محمد بن طاهر التنير البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية تحقيق: محمد عبد الله الشراوي (دار عمران، بيروت: ١٩٩٣)، ص ١١ وما بعدها؛ أحمد علي عجيبة، تأثير المسيحية بالأديان الوضعية (دار الافاق العربية، القاهرة: ٢٠٠٦)، ص ٤٥ وما بعدها.
- (٦٧) ينظر: فراس السواح، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة، سوريا، ارض الرافدين، ط ١٣ (دار علاء الدين، سورية: ٢٠٠٢) ص ٣٦٧؛ ريتشاردلي ومايكل بيجنت وهنري لنكولن، الارث المسيحي، ترجمة: محمد الواكد (دار صفحات، سورية: ٢٠٠٩)، ص ٥٤.
- (٦٨) ينظر: فالتر كاسبر، يسوع المسيح، ترجمة: يوحنا منصور (منشورات المكتبة البولسية، بيروت: ٢٠٠٠)، ص ٣٢٤.
- (٦٩) ولد بولس في حوالي ١٠م وكان يهودياً اسمه (شاول) واسم بولس هو الاسم اليوناني له وكان من فئة الفريسيين اليهود المتشددين وقد اضطهد المسيحيين الاوائل وعذبهم ثم اهتدى الى المسيحية حينما زعم أنّ السيد المسيح جاءه في الرؤيا فأصبح بعدها رسولاً وقديساً لا سيما الى الوثنيين الذين عهد اليه بتبشيرهم وكتب ١٣ رسالة من العهد الجديد وتعد رسائله اقدم مؤلفات العهد الجديد والاناجيل القانونية كتبت بعدها وتأثرت بأفكارها. ينظر: أعمال الرسل ٩: ١-٩؛ صبحي حموي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي، ص ١١٨.
- (٧٠) أعمال الرسل ١٥: ١٩.
- (٧١) وللمزيد من المعرفة عن مجمع نيقية، ينظر: ثاوت محمد أمين، دراسة تحليلية حول مجمع نيقية المسكوني (مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، كلية التربية، العدد ١، مج ٥، السنة الخامسة: ٢٠١٠).
- (٧٢) الرسالة الأولى الى مؤمني غلاطية ١: ١١، ١٢.
- (٧٣) ينظر: هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الدين (منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية: د. ت)، ص ٥١، ٥٥.
- (٧٤) متي ١٨: ٢٠.
- (٧٥) إبراهيم القمص عازر، مدخل الليتورجيا والطقس الكنسي، ص ٣٦.
- (٧٦) هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ص ٥٢.

- (٧٧) آ. بترى، مدخل الى تاريخ الاغريق وأدبهم وآثارهم، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، ط٢ (لا. م): (١٩٧٧)، ص٩٢.
- (٧٨) ينظر: احمد شيخ البساتنة، رؤية في اصول المسيحية، ط٢ (التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق: ٢٠٠٧)، ص٩٣.
- (٧٩) رؤوف سبهاني، تاريخ الأديان القديم (مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ٢٠١١)، ص٥٨٩. وللمزيد من المعرفة حول عبادة الإله ديونيس ينظر: سعيد الغانمي، فاعلية الخيال الأدبي محاولة في بلاغية المعرفة من الأسطورة حتى العلم الوصفي (منشورات الجمل، بيروت: ٢٠١٥)، ص١٥٨ وما بعدها.
- (٨٠) أندريه نايتون وادغارويند وكارل غوستان يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الدين (منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، لا. م: د. ت)، ص٦١.
- (٨١) ينظر: أحمد شيخ البساتنة، رؤية في أصول المسيحية، ص٩٤؛ هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ص٥٣.
- (٨٢) اندريه نايتون وأدغارويند وكار غوستان يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ص٦٣.
- (٨٣) شارل جنبيير، المسيحية نسأتها وتطورها، ص١٦١.
- (٨٤) الرسالة الأولى الى مؤمني كورنثوس ١٠: ٢٠، ٢١، ٢٢.
- (٨٥) ينظر: ميشيل يتيم واغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ط٤ (منشورات البولسية، بيروت: ١٩٩٩)، ص٥٦.

Abstract

Eucharist, or the Lord Supper, is one of the most Christian sophisticated ceremony, it is one of the secrets of the church, actually it is the first secret.

This study tackles the meaning or significance of Eucharist; its characteristics, developments in the different eras, and its change from a meeting from a supper for the memory of the Christ in his last supper with his disciples, to a secret and ambiguous ritual where it is pretended that the eaten bread and drunk wine became the real body and blood of the Christ and by that they will get some of his distinguished characteristics. Thus, this ritual is identical with a well-known ritual for the pagans who had become Christians with the same pagan doctrines. Some of the first church's fathers had encouraged these ceremonies as a way to attract the pagans towards Christianity. By this way, and according

to the decisions of the synods, Christianity represents the doctrines of paganism more than the real call or mission of the Christ.